بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

رِيُّ الباحثِ الظَّمِي

بترجيح الثاء في نسبة ابن حجر المكي الهيثمي

والمقصود بضبط النسبة هو العلامة الفقيه الشافعي الكبير ، بل عُمدة متأخري الشافعية : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي الوائلي السعدي، المصري ثم المكي ، صاحب كتاب (تحفة المحتاج شرح المنهاج) المعتمد في الفقه الشافعي. وُلد سنة ٩٠٩هـ ، وتوفي سنة ٩٧٤هـ.

فقد وقع خلافٌ في نسبة هذا العالم الكبير : هل هو (الهيتمي) بالتاء المثناة ، أم (الهيثمي) بالثاء المثلثة ؟

مع الاتفاق أنها نسبة لمحلّة بمصر سُميت بـ(محلة أبي الهيثم) وهي التي تُعرف في العصر الحديث بـ(الهياتم) ، إحدى قرى مركز المحلّة الكبرى[١].

والاتفاق على هذه النسبة كان ملزما بأن يُتفق على تحرير النسبة إليها بغير اختلاف ، لو لا أن اسم هذه القرية قد تحرف في العامية ، فصارت تُنطق الثاء المثلثة في (محلة أبي الهيثم) تاءً مثناة، فيقال (محلة أبي الهيتم) على عادة الناطقين بالدارجة العامية في بعض البلدان ، ثم إنها تبدلت في

---

(١) انظر التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية لابن الجيعان –يحيى بن شاكر بن عبد الغني (ت٨٨٥هـ) – (٨٩)، ونفائس الدرر في مناقب ابن حجر – المطبوع باسم : الجواهر والدرر – لأبي بكر بن محمد بن عبد الله باعمرو السيفى اليزنى الشافعي تلميذ ابن حجر – مطبوع في فاتحة أشرف الوسائل بتحقيق أحمد المزيدي – (١٩)، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي – ترجمة رضي الدين بن عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد ابن حجر – (٢/ ١٦٦) .والخطط التوفيقية لعلي مبارك (١٥/ ٢٥– ٢٦)، والقاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م لمحمد رمزي (القسم الثاني : البلاد الحالية : ٢: ١٨).

العصر الحديث من (أبي الهيتم) إلى (الهياتم).

ومحلة أبي الهيثم هذه منسوبة إلى أبي الهيثم مولى عقبة بن عامر رضي الله عنه ، وهو رجل مختلف في اسمه ، وفي طبقته : هل هو صحابي أم تابعي ، لكنهم لم يختلفوا أن كنيته (أبو الهيثم) بالثاء المثلثة[1]، وهو المهم في ضَبْطِ نِسْبَةِ الموضعِ المنسوبِ إليه .

وما دام ابن حجر المكي منسوبًا إلى هذه المحلة ، وهي منسوبةٌ إلى أبي الهيثم ، فهو بالثاء المثلثة قطعا في صوابها ، وإنما حَرَّف العامةُ النسبة إليها : من الهيثمي إلى الهيتمي، على عادتهم في بعض البلدان في العصور المتأخرة من قلب الثاء المثلثة تاءً مثناة .

وقد قال الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ) في مادة (هتم) : «والهياتم، كأنه جمع الهيتم: قرية بمصر من أعمال الغربية، وقد وردتها، وإنما جُمعت بما حولها من القرى، وفي النسبة يُرَدُّ إلى المفرد، ومن ذلك الشهاب أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، نزيل مكة . ويقال: هي محلة أبي الهيثم، بالمثلثة، فغيرتها العامة، ولد بها في أواخر سنة تسع وتسعين وثمانمئة، ومات بمكة سنة أربع وسبعين وتسعمئة»[2]. ثم جزم الزبيدي فقال في مادة (هثم) : «ومحله أبي الهيثم: قرية بمصر، وقد ذكرت

---

(١) انظر لترجمة أبي الهيثم مولى عقبة بن عامر رضي الله عنه الذي يُنسَب إليه هذا الموضع : الطبقات لخليفة بن خياط – وسماه : عُمر – (٢٩٣)، والتاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٢٥٦)، مع كتاب الكنى لمسلم – بخط أبي الحسن ابن الفرات : وهو محمد بن العباس بن أحمد (ت٣٨٣هـ) – (١٠٠/ أ)، والمعرفة والتاريخ للفسوي (٢/ ٥٠٣)، والكنى للدولابي (٣/ ١١٥٦)، والمراسيل لابن أبي حاتم – ترجمة دُخَين الـحَجْري – (رقم٨١)، والمعجم الكبير للطبراني – مسند : أبي الهيثم (غير منسوب)– (١٥/ ٥٢٤٠)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٦/ ٣٠٤٨– ٣٠٤٩رقم ٣٤٩٦)، وأسد الغابة لابن الأثير (٦/ ٣٢٤رقم ٦٣٢٥)، وتهذيب الكمال للمزي (٨/ ٤٧٦) (٣٤/ ٣٨٥)، وميزان الاعتدال للذهبي – ترجمة : أبي الهيثم مولى عقبة – (٥/ ٢٩٨رقم ٩٩٤٦)، وإكمال تهذيب الكمال لمغلطاي (٤/ ٢٧٤– ٢٧٥)، وتعجيل المنفعة لابن حجر (٢/ ٥٣٢رقم١٣٧٩)، وتهذيب التهذيب – ترجمة : دخين بن عامر – (٣/ ٢٠٧) –ترجمة أبي الهيثم –(١٢/ ٢٧٠).

(٢) تاج العروس (٣٤/ ٦٧).

في: " هـ ت م "»[١].

وعنه أخذ عباس بن محمد بن أحمد ابن السيد رضوان المدني (ت١٣٦٤هـ) فقال: «الهيتمي: للهياتم قرية بمصر من أعمال الغربية، ويقال: هي محلة أبي الهيثم، فغيرتها العامة ... (ثم قال) الهيثمي: لمحلة أبي الهيثم، وهي الهياتم السابقة آنفًا»[٢].

ولا شك أن (الهياتم) هي (محلة أبي الهيتم) وهي هي (محلة أبي الهيثم)، كما سبق بيانه من مصادر المواضع المصرية.

ولذلك جرى السخاوي على تسمية المنسوبين إلى محلّة أبي الهيثم بـ(الهيثمي) بالثاء المثلثة[٣].

وأشهر من عُرف بهذه النسبة هو نور الدين الهيثمي – علي بن أبي بكر بن سليمان – صهر الحافظ العراقي (ت٨٠٧هـ) صاحب كُتب الزوائد: (مجمع الزوائد) وغيره.

وبهذا لا يبقى شكٌّ أن النسبة لهذه البلدة يجب أن يكون بالثاء المثلثة، وأنه لا اعتبار لقول من ضبطها بالتاء المثناة؛ حتى لو أُخذت التاء المثناة من لسان ابن حجر المكي نفسه؛ فلقد عهدنا كثيرًا من العلماء الذين اعتادوا لغتهم الدارجة يصعب عليهم نطق الذال والثاء ونحوها من الأحرف التي اعتادوا نطقها بالدارجة العامية؛ إلا بصعوبة، كما هو مشاهد مسموع منهم في مصر وغيرها.

وأما صحة قَلْبِ الثاء تاء في بعض لغات العرب (كما قيل)[٤]، فإن هذا القَلْبَ لا يجعل

---

(١) تاج العروس (٣٤/ ٦٩).

(٢) مختصر فتح رب الأرباب بما أُهمل من لب اللباب من واجب الأنساب لعباس بن محمد بن أحمد ابن السيد رضوان المدني – مطبوع في ذيل لب اللباب للسيوطي – (٣٩١).

(٣) كما في الضوء اللامع – ترجمة: حسن الهيثمي – (٣/ ١٣٤) – ترجمة: عبيد الله بن أحمد بن علي الهيثمي ثم القاهري الصحراوي – (٥/ ١٢١).

(٤) كما تراه في حاشية تاج العروس للزبيدي (٣٤/ ٦٧)، وإنما هي لغةٌ لبعض يهود خيبر وما جاورها من بلاد العرب، فانظر النوادر لأبي زيد الأنصاري – تحقيق: د/ محمد عبد القادر أحمد – ٣٤٥- ٣٤٧)

الأصل (وهو الثاء المثلثة) خطأً ، ولا يجعل المقلوب عنها (وهو التاء المثناة) هو الأصح، كما لم يجعل (أبا الهيثم – بالمثلثة–) الذي سُمي الموضع به (أبا الهيتم – بالمثناة–)، فما زال (أبا الهيثم)، وغيره خطأ عامي!

وأما العلماء الذين وجدتهم ضبطوا (الهيتمي) بالتاء ، وعنهم اشتهر هذا الضبط ، فهم :

١- الـمُحِبِّي – محمد أمين بن فضل الله الحموي ثم الدمشقي – (ت١١١١هـ)، حيث قال في ترجمة حفيده : رضي الدين بن عبد الرحمن بن الشهاب أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي قال: «بالمثناة الفوقية نسبة لمحلة أبي الهيثم من أقاليم مصر»[١].

٢- والأمير الكبير – أبو محمد محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر السَّنَباوي (ت١٢٣٢هـ)، حيث قال في ثَبته : سد الأرب في علو الإسناد والنسب : «وأما تآليف أحمد بن محمد ابن حجر الهيتمي – بالمثناة الفوقية : نسبة للهياتم من قرى مصر–»[٢].

٣- وعبد القادر الفاكهي – هو تلميذ لابن حجر المكي ، واسمه عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي توفي سنة ٩٨٢هـ ، وقيل سنة ٩٨٩هـ- : فقد جاء نقلٌ في حاشية إحدى نسخ (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) منقولٌ من إحدى نسخ (تحفة المحتاج)، وبخط ناسخٍ لم يُحدّد من هو ، يقول هذا الناسخ : «وأما نسبته بالهيتمي : فضبطها عبد القادر الفاكهي في ترجمته بالمثناة الفوقية، وأما ما يقع لبعض المتشدقين من قراءته بالمثلثة : فلم أقف عليه في كلام أئمة المنقول»[٣]. ولكننا لا نعلم : هل هذا الناسخ المجهول ينقل عن خط عبد القادر ، أم عن منسوخ من خطه ؟ لأنه إن كان من منسوخ عن خطه فقد يكون ضبطه بالقلم لا بالحرف ، فيَرِدُ عليه احتمالُ التصحيف. وإن ثبت أن الفاكهي ضبطه بالتاء المثناة ، فيكون حاكيا ما سمعه من الناس بعد تحريف

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي (٢/ ١٦٦).

(٢) سد الأرب للأمير الكبير – تحقيق : مصطفى أبو زيد (٢١٤).

(٣) انظر من حاشية محقق (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) للغزي (٣/ ١١٣).

الثاء إلى تاء .

فصار كلام هذا الناسخ (مهما يكن) هو التشدق بغير الفصيح ، وهو التعالم بغير العلم الصحيح .

٤- علي باشا بن مبارك بن سليمان (١٣١١هـ)، حيث قال في الخطط التوفيقية : «محلة أبي الهيتم : وهي بالمثناة الفوقية ، كما في (خلاصة الأثر) ... (ثم ذكر عددا من المنسوبين إليها ، ومنهم رضي الدين ابن حجر ، نقلا عن المحبي)»[١]. فهو تابع للمحبي في ضبطه، والمحبي جرى على ما سمع الناس ينطقونها.

وأما عبد القادر العيدروس (ت١٠٣٨) صاحب (النور السافر في أخبار القرن العاشر) فلم يضبطها بالحرف ، وإنما قال في ترجمة ابن حجر المكي : «الهيتمي: نسبة إلى محلة أبي الهيتم من إقليم الغربية بمصر»[٢].

وكتب

أ.د الشريف حاتم بن عارف العوني

في ظُهر نهار من أيام كورونا ٢٠/ ٨/ ١٤٤١هـ

(١) الخطط التوفيقية لعلي مبارك (١٥/ ٢٥- ٢٦).

(٢) النور السافر للعيدروس (٣٩٥).